

## من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

- ١٢ -

### الدعوة إلى الخير

إن من أعظم مزايا الشريعة الإسلامية ، وأبرز محاسنها - إرشادها إلى أعظم وسيلة لإصلاح المجتمع ، وتنقيته من أدران الشر والفساد ، وخير أداة لإصلاح الأفراد والجماعات ، وتحقيق التضافر والتعاون الاجتماعي - تلك هي الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من فروض الكفاية ، إذا قام به بعض الأمة سقط عن الباقي ، وإذا لم يقم به أحد أتوا جميعاً ووقعوا في حوب كبير ، ولم يكن فرض عين فلم يجب عليهم أجمعين لما ينبيء عنه قوله عز وجل : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » ، ولأنه من عظام الأمور وعزائمها التي لا يضطلع بها ولا يتولاها إلا من هو أهل لها - والأهلية تتحقق بشروط : منها العلم بالأحكام ، ومزاج الاحتساب ، وطرق إقامة هذا الواجب ، ومعرفة الأحوال المختلفة وما يناسب كل حالة ، فإن من لا يعلم ذلك قد يأمر بمنكر ، وينهى عن معروف ، وينلظ في مقام اللين ، ويلين في موضع النلظة ، وينكر على من لا يزيده الإنكار إلا تمادياً وإصراراً - كما يشترط في الوجوب التمكن من القيام به ، غير أن الأمر بالمعروف يكون واجباً ومندوباً - على حسب المأمور به - أما النهي عن المنكر فهو واجب في كل حال لأن جميع ما أنكره الشرع حرام .

وإنما وجب ذلك لأن صلاح الأمة في أمر دينها وديناها ، ونقى الفساد عن الأرض ، وتقليل الشرور والآثام - لا يكون إلا بأداء هذا الواجب ، فإن الظالمين والمفسدين ومرتكبي الآثام إذا تركوا وشأنهم - من غير تكبير - استشرى داؤم وتفاقم شرهم ، وكثر سودام ، فتقع الأمة في بلاء عظيم وسوء لاسدله ، وتبوء بسخط من الله وعذاب ، وذلك هو الخسران البين . والأصل في ذلك ما ورد في الكتاب والسنة من تلك النصوص

التي جمعت بين القوة والكثرة في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - قال الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - من أعظم الواجبات وأبدها أثراً في إصلاح المجتمع - مدح الله به المؤمنين كما مدح به المؤمنين ، وجعله من صفات الرجال والنساء معاً ، وقرنه بإتة الصلاة وإيتاء الزكاة وبطاعة الله ورسوله ، فقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسولاً أولئك سيرحهم الله » .

وجعل الله - جلت حكمته - قيام الأمة بهذا الواجب دلياً على تمكن الخير من نفسها ، ورسوخ خلق الإصلاح فيها فقال « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، بل أنبأنا - جل شأنه - أن من أسباب استحقاق بعض الأمم اللعنة أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه : « لمن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » . وسئل عليه صلوات الله وسلامه عن خير الناس فقال : أمرهم بالمعروف ، وأنهم عن المنكر ، وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم » ، بل روى عنه أنه جعل الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر خليفة الله ورسوله في الأرض ، فقال : من أم بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه ، وخليفة رسوله ، وخليفة كتابه » .

وقد ورد في الحديث ما يدل على أن سنة الله في الأمة التي فرطت في هذا الواجب - أن يسومها سوء العذاب ، والأيتقيل دعاء خيارها إذا سكتوا عن منكراتها ، فقد روى عنه - صلوات الله وسلامه عليه : « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو يسلمن الله عليكم شراركم ، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم (١) » . وقال علي رضي الله عنه : أفضل الجهاد الأمر بالمعروف

(١) روى هذا الحديث ببارات مختلفة لفظاً ، ولكنها متحدة في مغاربة معن .